عامٌ على الطوفان

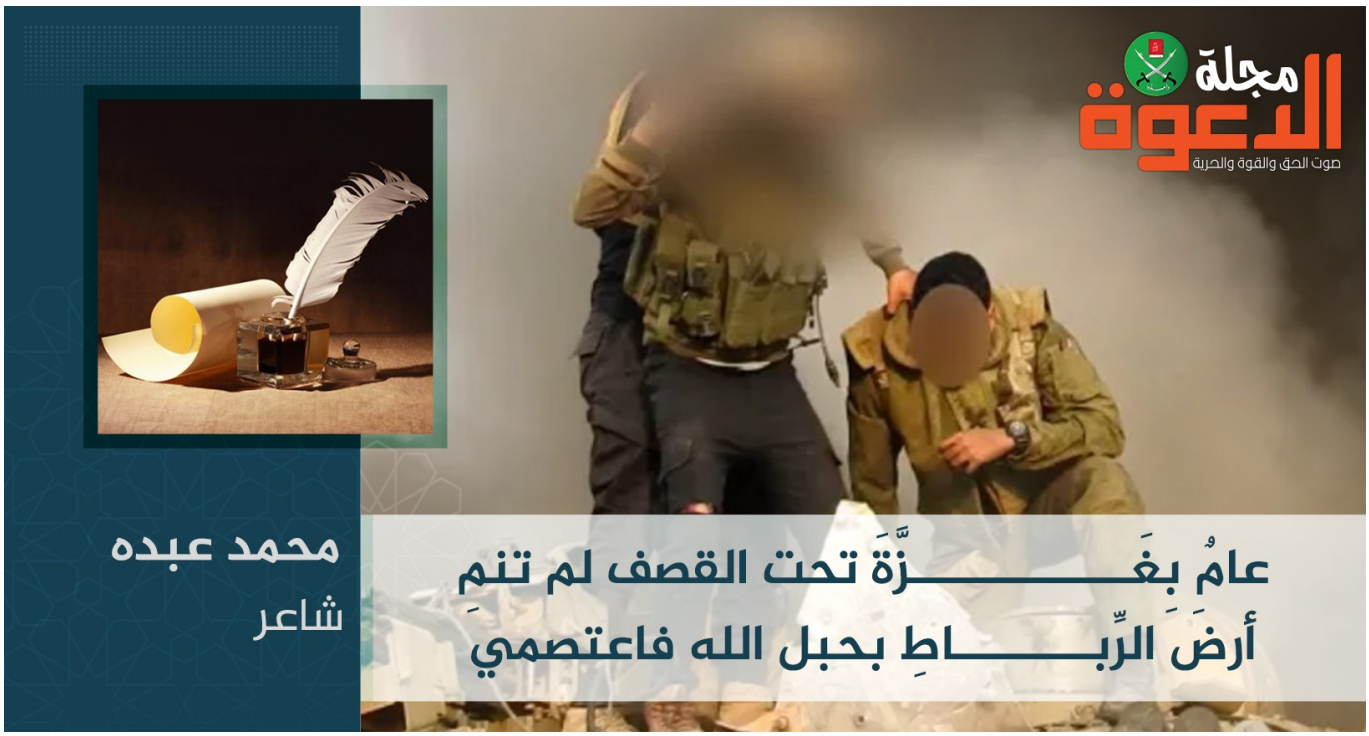

للشاعر محمد عبده

عامٌ بِغَـــــــــــزَّةَ تحت القصف لم تنمِ

أرضَ الرِّبـــــــــاطِ بحبل الله فاعتصمي

يا غزَّة النَّصر أنتِ اليوم صامـــــــــــدةٌ

رغم الجراحِ ورغم النّزف والألـــــــمِ

رغم ارتقاءِ لآلافٍ من الأســـــــــــــر

شيخٍ وطفـــــــــــلِ أبٍ وكذلك الأمِّ

رغم الحصـار وبعض العُشب مطعمكم

ولربما سُرِّبَتْ بعضٌ من اللّقَـــــــــــمِ

أســـــــــــرٌ بأكملها تمضي ولم يجدوا

أحداً لتعزيةٍ في الأهل والرِّحـــــــــــمِ

والأمُّ تمضي وقد يبقى لها الطفـــــــــلُ

عيناه ترمق تحت حجارة الـــــــــــــــردمِ

والأمُّ والزوجةُ والابنـــــــــــةُ احتسبت

أغلى الأحِبَّة تحت القصف والهـــــــــدمِ

والناس تخرج وسط الليـــــــل في فزعٍ

متنقلين من الخيمِ الى خيـــــــــــــــــمِ

صُوَرٌ الصحابة هل عادت بأمثلـــــــــــــةٍ

في أرض غزةَ تُحيي سالفَ الهمـــــــــمِ

كم من ثكالى هنا تَرضى وصابـــــــــرةٌ

وكم صغار لهم عانوا من اليُتـــــــــــــمِ

وكم جراح هنا في القلب غائـــــــــــرة

تشكو إلى ربها بالدمع منسجـــــــــــــمِ

أمّ الشهيـــــــــــــــد تزغرد عند رؤيتها

وجه الشهيـــــــــــــد يضيء مُعَطَّرا بدمِ

قد احتسبتُك عند الله يـــــــــــــــا ولدي

فِدىً لديني وللأقصى وللحـــــــــــــــرمِ

وكم تكرَّر للخنســـــــــــــــاءِ مشهدُها

والأمُّ تَرضى بدمع القلب منكتـــــــــــمِ

خذ من دِمانا إلهي إن رضِيـــــــــــتَ فقد

نلنا المنى ربّنا يا سابغَ النِّـــــــــــــــعَمِ

ترى التنافس في نيل الشهـــــــــادة مِن

جُندٍ وقادتِهم صعدوا إلى الأنجـــــــــمِ

مستبشرين بفضل الله في فـــــــــــــرحٍ

يا حُسْنَ مبتدأٍ يا طِيبَ مُختَتَـــــــــــــــمِ

صِفْ يا " هنيّةُ " كيف الحال عندكـمو

ما بين مُنشرحٍ منكم ومُبتســـــــــــــمِ

***

والطائراتُ تحومُ غيرَ عابئـــــــــــــــةٍ

بحقوق إنسانٍ أو هيئة الأمـــــــــــــــمِ

تلك الحقوق لإنسان وقد زعمـــــــــــوا

محض افتراءٍ فبئس الزيف والزَّعـــمِ

لا يضربون سوى مِن خلف أقنعـــــــةٍ

جُدُرٍ مُحصّنةٍ بالجُبن تتســـــــــــــمِ

طوفان غزة قد قلب المعادلـــــــــــــةَ

ليَظهَرَ الحقُّ فوق الشكّ والتُّهـــــــــم

عامٌ بغزة أحيا الروح في الهمـــــــــــم

بدءُ الصعود إلى العلياء والقمـــــــــــم

مستبشرين بنصـــــــــــــــر الله نرقبه

رغم الضحايا ورغم الفقد والألـــــــمِ

وأهل غزة لم يعطوا الدنيـّــــــــــــةَ، بل

مستمسكون بحبلٍ غيرِ مُنفصـــــــــــــمِ

حبلٍ من الله ربّ الناس خالقهـــــــــــم

عليك معتمدي يا واســـــــــــــعَ الكرمِ

مســـــــــافة الصفر قد صارت هنا مثلا

في الرّمي والقذفِ والتفخيـــخ باللّغمِ

دبابةٌ قد أتت حصناً محصنـــــــــــــــــــةً

بالجند في جوفها بالرّعبِ مُنهـــــــــــزمِ

يسعى إليها الفتى شـــــــــــوقا يفجرها

أكرم به من فارسٍ أنعم به من ضِرغَــمِ

فَتَىً يفاجئُهـــــــــــــــم ما همُّه أن يُرى

من غير سترته أو عاريَ القـــــــــــــدم

أسْدُ الشَّرى تنبري تنقضُّ في فجـــــــأةٍ

تُذيق جند العدا الكأس من علقـــــــــــم

وقد أعدّوا لهم قدْرَ استطاعتِهـــــــــــم

من مبلغ الجهد من سيفٍ ومن قلـــــمِ

والناس تحتضن تلك المقاومـــــــــــــةَ

كمثل أسورةٍ تحيط بالمِعصـــــــــــــــمِ

يا نعم حاضنة ترعى مقاومـــــــــــــــةً

لتنوبَ عن أمّتي وتبَرَّ بالقَسَـــــــــــمِ

" والظلم إن تلقه بالســـــــلم ضِقتَ به

ذرعا وإن تلقه بالسيف ينهـــــــــزم "

***

ظنّوا التجوُّل في غزّةَ نزهـــــــــــــــةً

وقالوا في ساعةٍ تُلقَى إلى اليـَــــــــمِّ

فإذا بهم وجدوا في غـــــــــــزةَ صخرةَ

تردُّ كيد العدا في كلِّ مُصطـــــــــــــدمِ

وكم بغزةَ من صبرٍ ومن ألـــــــــــــمٍ

لكنّ عند العدا الأضعافُ من ألـــــــــــمِ

لكننا نرجـــــــــــــــــو من ربِّنا ما لا

يرجو العدوُّ من الأفضال والنِّعـــــــــمِ

والله غايتنا نعم الوليِّ لنـــــــــــــــــا

نرجو رضاه ونرجو حُسن مختتـــــــــمِ

شهداؤنا في جنة متنعمين بهـــــــــــــــا

مستبشريـــــــــــــــن بلا خوف ولا همِّ

يا غزة النصر ان الحق منتصـــــــــــــر

بالحق فاستمسكي بالله فاعتصـــــــــمي

وَقَفْتِ كالشوكةِ في حَلْقِ باطلهـــــــــم

مرفوعةَ الرّأس في عزٍّ وفي شَمَـــــــمِ

ضريبة العـــــــــــــزّة عن أمتي سُدِّدَتْ

من غزةِ العزة بالبذل والغُـــــــــــــرمِ

***

طوفان غزَّةَ كم أعطى الدروسَ لنـــــــــا

للشرق والغرب أو للعرب والعجـــــــمِ

طوفان غزةَ لا نُحصي فوائـــــــــــــــده

للوعي في أمتي أو سائر الأمـــــــــــــمِ

عن عودة الرّوح في أجيالنـــــــا عَرَفت

معنى الدفاع عن الأقصى عن الحـــــرمِ

من كان يحلم بالتطبيع من حُكَّامِنـــــــــا

طوفان غزةَ بدَّد سكـــــــــــــــرةَ الحلمِ

طوفان غزةَ بعْثٌ في النفـــــــوس أتى

يخاطب الفطرة تشتاق للقيـــــــــــــــمِ

في الجامعـــــــــــــات بأمريكا وأوربا

ثار الشباب كسيـــــــــــــــلٍ هادرٍ عَرِمِ

والناس تسأل عن سر الصّمـــــود هنا

رغم الدّمار ورغم النار والهـــــــــدمِ

رغم الحصـــار ورغم القصف والحمم

لماذا غـــــــــزةُ ما هانت ولم تستسلمِ

رغم النزوح بلا أمنٍ ولا سكـــــــــــنٍ

سوى العراء ومِن خيمٍ الى خيـــــــــمِ

رغم الضحايا بآلافٍ مؤلفـــــــــــــــةٍ

رغم الجراح تئنُّ بشدة الألـــــــــــــــم

رغم استغاثتهم هل ثمَّ معتصـــــــــــــمٌ

وليس ثمَّة مأمون ومعتصـــــــــــــــم

سِرُّ الصمودِ بغزة ليس نفهمـــــــــــــــه

فمن يدلُّ على الأسباب والحكـــــــــــمِ

قالوا لهم إنه القرآن مِن هدْيـــــــــــــــه

طوبى لمستلمٍ طوبى لمستلهـــــــــــــــمِ

والبعض يُقبِل في شـــــوقٍ وفي لهفٍ

والبعض يقرأ في شغفٍ وفي نهـــــــمِ

ترى ميادي ـــــــــــــــن أمريكا وأوربا

فيها مظاهرةٌ بالحشد مزدحِـــــــــــــمِ

هتافهم أوقفوا فورا إبادتكـــــــــــــــم

لشعب غزةَ في حـــــــــــربٍ وفي جرمِ

تلك الضرائب هل تُجْبى لخدمتنـــــــــــــا

أم للسلاح ليحرق ساكني الخيـــــــــــــمِ

طوفان غزة أحيا الناس أفهمـــــــــــــها

ما كان من قبل يستعصي على الفهـــمِ

رؤساء أمريكا والغرب في قبضـــــــــةٍ

بيد الصهاينة كعبادة الصنـــــــــــــــمِ

حرب الإبادة في وحشية أيقظـــــــــــت

حُرَّ الضمائرِ من عرب ومن عجـــــمِ

رغم الدمار ورغم القصـــــف مستعرٌ

مازِلت يا غزةُ مرفوعة العلـــــــــــمِ

تلك الأباطيل قد حيكت وقد نُسجـــــت

من الصهاينـــــــــــة أفضت إلى العدمِ

وأن ما يدعون اليوم من سَفَـــــــــــهٍ

فُضِحت سخافتُه في سائر الأمـــــــــمِ

فليس للمعتدي حقٌّ بأرضٍ لنـــــــــــا

سوى افتراءات لغاصب مجـــــــــــرمِ

***

حقوق إنســـــــــــان والغرب روَّجها

عدلٍ وحريةٍ أو سائرِ القيـــــــــــــمِ

تلك الحقوق شعـــــــــــــاراتٌ مزيفة

حسب الهوى عندهم تعطى وتُقتـــسمِ

بئس المكاييـــــــــــلُ إن كيلت بمُختَلِفٍ

من القياس بحسب الجنس والقـــــــومِ

إن كان من عجم يُعطى كأوكرانيـــــــــا

أو كان في غزةَ فالقصف بالحمـــــــــم

والعدل إن لم يكن في الناس مشتـــركا

على السواء فذلك أبغض الظلـــــــــــم

نعود للعرب إذ حكامهـــــــــــم أعرضوا

عن الوفاء بحق الجار والذمـــــــــــمِ

أين الجيوشُ وأين نشيدُنـــــا الوطني

أين العروشُ وأين تحيةُ العـــــــــــلمِ

مصر العريقة قد ديست بمعبـــــــــــرها

من العدو بلا عتبٍ ولا لـــــــــــــــومِ

"مسافة السِّكَّةِ" هل كان مقصـــــــدها

حصراً إلى ليبيا أو قل إلى شـــــــــــرْمِ

دول الجوار فأين اليوم نخوتُهـــــــــــا

ذهبت معونتهم للمعتدي المجـــــــــرم

ومن تسلل يبغي نصر إخوتـــــــــــــه

يبغي الشهادةَ يلقى المنع في حـــــــــزمِ

إلا من احتال في حرصٍ وفي حـــــــــذرٍ

ينوي الشهادة والإقدام في عـــــــــزمِ

طوفان غزة قد جلَّى الأمور لنـــــــــــا

حكامنا للعدو اليوم كالخـــــــــــــــــــدمِ

شعوب أمتنا تغلي الدمـــــــــــــــــاء بها

لنصرة الجار والقربي ذوي الرحـــــــمِ

وإن هنا أحد أبدى تعاطُفـــــــــــــــــه

تلقى له عندهم سيلاً من التُّهـــــــــــــــمِ

دول الجوار بها حرس الحـــــــــــدود له

الأمر بالمنع للشهم وللدعـــــــــــــــــم

***

والناس تسأل أين المسلمـــــــــــون إذن

أين الدعاة ذوو الإقدام والهمـــــــــــــمِ

أين الجماعة ملء السمع والبصـــــــــر

أين الأصول بإخلاص مع الفهـــــــــــمِ

ومنهم الأسد خلف الســـــــــور تنتظر

قد لُفِّقت لهمو إفكا من التُّهَـــــــــــــــمِ

والأســـــــــدُ قالت لهم فلتخرجونا إذن

نحرر الأرض والأقصى مع الحـــــــرم

والمسلمون كحبَّاتٍ بمسبحـــــــــــــــــةٍ

والخيط يلزم للتجميـــــــــــــع والضمِّ

لا تحقرن من المعـــــــــروف ما وسعَت

به استطاعتُك بالبذل والدَّعـــــــــــــــمِ

من الدعاء ومن وعي وتوعيـــــــــــــةٍ

شارك بجهدك مِن قلم ومن درهـــــــــمِ

ومن تقاربنـــــــــــــــــا صفّاً إلى صفٍّ

ومن مقاطـــــــــــــــــــعةٍ لتجنُّبِ الإثم

***

يا دعوةَ الحـــــــــــــقِّ إن الحقَّ منتصرٌ

مهما تكبر بالطغيان ذو غشـــــــــــــــــمِ

يا ربّ فرِّجْ بنا ما حلَّ مِن كُـــــــــــربٍ

واحفظ بلاداً لنا من ظالم مجـــــــــــرمِ

فرق جموع العدا من كل مغتصـــــــــب

وردَّه ربّنا بالخزي منهـــــــــــــــــزم

وافضح نفاقا هنا في زي أنظمـــــــــــة

أسْدٌ علينا وللأعداء كالغنـــــــــــــــمِ

خذلان حكامنا إجرام حكامهـــــــــــــــم

نشكو إليك وأنت خير منتقِـــــــــــــــمِ

بك نستغيث لغزة هاشـــــــــــــــمٍ تقفُ

للهول مقتحـــــــــــــــــمٍ للموج ملتطمِ

وارحم شهيدا لهم واشف مريضهمـــو

وائذن لجرحٍ لهم بالعفو يلتئـــــــــــــم

وانصرهمو ربنا واكتب لأمتنـــــــــــــا

فرحا بنصرهمو وبرفعة العلـــــــــــــمِ

هيئْ لنا ربنا من أمرنا رشـــــــــــــــدا

حتى نحرر أرض الحل والحـــــــــــرم